

الجفاف يهدد ما تبقى من حياة في شمال شرق سوريا

الخبر:

أشار تقرير أعدته [سكاي نيوز](#) بعنوان "الجفاف يهدد الحياة في شمالي شرق سوريا" أن الجفاف والتصحّر يخيمان على المنطقة ويدق ناقوس الخطر في أزمة هي الأولى منذ أكثر من ٧٠ عاماً، وأشار التقرير إلى أن سوريا قد احتلت المرتبة السابعة على مؤشر المخاطر العالمية ضمن ١٩١ دولة مدرجة ضمن الأكثر عرضة لخطر الكوارث الإنسانية أو الطبيعية وفقاً لتقارير أممية. هذا وقد اتهم سكان شمال شرق سوريا تركيا بإثارة أزمة الجفاف بعد بنائها للسدود ما أدى إلى انخفاض كبير في مخزون المياه في سدود المنطقة على نهر الفرات، وبحسب الخبراء فإن هذه الكارثة المائية لنهر الفرات ستؤدي إلى فقر حاد وبالتالي إلى مجاعة تهدد ما تبقى من حياة.

التعليق:

تعاني منطقة الجزيرة في شمال شرق سوريا، أزمة جفاف هي الأسوأ منذ سبعين عاماً، ومنطقة الجزيرة مقسمة تقليدياً إلى ثلاث محافظات: محافظة الحسكة وتشمل كامل الشريط الحدودي مع تركيا لعمق قرابة خمسين كيلومتراً جنوباً، وكانت من أخصب أنواع التربة في العالم. ومحافظة الرقة التي كانت مكاناً للزراعات الشجرية مثل الزيتون والكروم والنخيل. وأخيراً، دير الزور شبه الصحراوية التي يمكن استخدامها كمراع. هذه المناطق التي يقطنها نحو خمسة ملايين نسمة مهددة بسيناريو كارثي مائي وإلى اضطراب الحياة الأسرية وزيادة حيويتهم صعوبة بالإضافة إلى تعطيل مصالح وأعمال مئات الآلاف من المزارعين إذ زاد الجفاف من المساحات الصحراوية والتي تشكل ما يقارب ٣٥% من مساحة سوريا ما يهدد سلة الأمن الغذائي وينذر بكارثة بيئية إنسانية وشيكة.

هذا الفقر الهائل للماء له أسباب متعددة ولكن أبرزها الأسباب السياسية حيث تم قطع المياه عن منطقة الجزيرة كإجراء عقابي ضد مناطق الثورة وخروجها عن سيطرة النظام السوري، فتم تعطيل محطات الضخ التي تؤمن مياه الشرب، وأيضاً تم تعطيل قنوات الجر التي تؤمن مياه الري للحقول في هذه المناطق، ثم جاءت إجراءات تركيا الأخيرة الناتجة عن التوسع في إقامة السدود في جنوب شرق تركيا لتزيد حاجة السكان إلى المياه بعد أن انخفض منسوب نهري دجلة والفرات إلى أكثر من الثلث قياساً بما كان عليه قبل عام ٢٠١١.

لقد عدّ الإسلام الماء من الملكيات العامة لجماعة المسلمين، وجعلها مشتركة بينهم، ومنع الأفراد من تملكها لتمكين جميع الرعية من الانتفاع بها، جاء في سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ وَالْكَأُ وَالنَّارُ». وفي سننه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَاءِ وَالْكَأِ وَالنَّارِ، وَثَمَنُهُ حَرَامٌ». وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؛ رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاحَةِ يَمْنَعُهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ...» رواه مسلم.

فالواجب على الدولة أن تحرص على توفير الماء وصونه من التلوث وضمان إيصاله للناس فرداً فرداً وأن يحظى توزيعه بالعناية اللازمة مالياً وتقنياً حتى تضمن توفيره للناس باعتباره حقاً لهم لا بضاعة تُباع وتشتري كما في النظام الرأسمالي. فالماء عامل أساسي وحيوي في بناء الدولة والمجتمع، وقد أدرك المسلمون هذه الأهمية للماء منذ نشوء الدولة الإسلامية. عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: أَنَشِدُكُمْ اللَّهَ، أَنَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا بِنْرٌ يُسْتَعَذَّبُ مِنْهُ إِلَّا رُومَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِيهَا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ، فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَذَلِي الْمُسْلِمِينَ، وَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ» رواه أحمد بن حنبل.

إن حل قضية المياه في مناطق شمال شرق سوريا حلاً جذرياً يجب أن يكون على مستوى الأمة وليس على مستوى محلي أو إقليمي. فالثروة المائية الموجودة في المنطقة هي ملكية عامة للأمة ويجب أن ينتفع جميع أفرادها منها، كما قال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى»، فيجب أن يتوحد هذا الجسد الواحد في كيانٍ سياسيٍّ واحد، ليزيل هذه الكيانات الهزيلة وبذلك تحل مشكلة المياه حلاً جذرياً في سوريا والمنطقة كلها.

فمشكلة المياه مشكلة جزئية وقضية فرعية تصغر أمام القضية المصيرية، التي يجب أن يتخذ المسلمون حيالها إجراءً واحداً؛ الحياة أو الموت، وهي قضية عودة الإسلام إلى واقع الحياة بإقامة دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

كتبته لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

رنا مصطفى